

# د/ فتحي أبو الورد يكتب : قراءة في المشهد الثوري المصري



الأربعاء 20 مايو 2015 م 12:05

بكلم: د. فتحي أبو الورد

أتابع التقارير والتحليلات التي تعرض للشأن المصري، وأقرأ بعناية البيانات التي تصدر عن التحالف الوطني لدعم الشرعية، وأرقب عن كتب ما يدور على الساحة الثورية، لأنتم جزئيات المشهد، وأضم بعضها إلى بعض لعل أطفر بصورة كلية، وأستطيع أن أقف مع بعض مفردات المشهد، ليعطي مجملها صورة كلية أقرب إلى الواقع على النحو التالي:

(1)

– ترددت كثيراً العبارات التالية على ألسنة القيادات الثورية وفي بيانات التحالف: المعادلة صفرية، اقترب موعد القصاص من، لا تصالح مع القتلة، لا تفاوض على دماء الشهداء، لا تراجع عن الثورة، لا تنازل عن عودة الرئيس الشرعي المنتخب باعتباره أهم مكتسب من مكتسبات ثورة 25 يناير، لن نقبل بديلاً عن عودة الجيش إلى ثكناته، وأستطيع أن أفتر ب الكثير من الاطمئنان أن هذه المفردات السابقة أصبحت ثوابت للحركة الثورية، وأهداها جادة لها، يؤمن بها الثوار ويعملون من أجلها، وليس من قبل المراوغة السياسية أو المناورة الإعلامية التي ترمي إلى رفع سقف المطالب حتى تتحقق أكبر قدر منها عند التفاوض.

وأعتقد أن هذه الرسالة واضحة تمام الوضوح لدى الانقلابيين، وهذا ما جعلهم يتدافعون كالثيران الهائجة متخبطين في القرارات والتصرفات، فانتهوا سياسة أكثر دموية تجاه الثوار، وشرعوا في مسلسل الإعدامات، وبدعوا في تنفيذ بعضها، في رسالة من الانقلابيين إلى الثوار أنهم حادون في التنفيذ، وليس أحكم الإعدام للتهديد فقط، ومن الممكن أن يطال تنفيذ الإعدام الرئيس المنتخب نفسه، باعتبار ذلك أوراق ضغط على الرئيس والتحالف، في تسابق محموم لانتزاع طوق نجاة لهم ممثلاً في اعتراف الثائرين بالواقع، بعد أن فارق زمن الصراع على الانتهاء، مع تيقنهم أن الوقت المتبقى ليس في صالحهم، إن لم يكن بالفعل يلعبون في الوقت الضائع، فإن أفلحت محاولاتهم في الضغط فقد نالوا ما تمنوا، وإن لم يظفروا بشيء فلن يغير إعدام قوافل أخرى من الثوار شيئاً من المعادلة، والذي يومن بأنه مطلوب للعدالة للقصاص على كل حال؛ فلن يفرق معه العدد الذي سيقتضى منه لهم.

(2)

– انتهت الانقلاب سياسة الصدمة النفسية أو ما يسمى صدمة الرعب عبر سلسلة من الإجراءات الشيطانية ممثلة في التصفية الجنسية للثوار في منازلهم وعلى الملا، وأحكام الإعدام وتنفيذ بعضها، والتعذيب الممنهج في سلطانات وأقبية أمن الدولة وغيرها، في خطأ أقرب ما يعبر عنها أنهم يذبحون القطعة للثوار لكسر إرادتهم، ولم يفلح هذا النهج في إلحاق الهزيمة النفسية بالثائرين، ولم يعلموا البنية الإيمانية والأخلاقية لهذه النوعية من الثائرين، والتي شكلت آيات القرآن الكريم عقيدتها التي تقول بعضها: "فُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ (51) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَّيْنِ وَتَحْنُ تَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ (52)." التوبة هذه النوعية من الثوار هي التي مثلت القاعدة الصلبة للمد الثوري، واستعانت على الانكسار، وثبتت ثباتاً أسطورياً على

مدار عامين متواصلين أمام أدوات بطش العسكر "فَمَا وَهْنُوا لِمَا أَصَابُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعَفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الظَّاهِرِينَ" (146) آل عمران، وكان من ثمار ذلك إحداث حالة من الرعب المضاد لدى مكونات الانقلاب، وفشل الانقلابيين في تحقيق أهدافهم، وبدأت تباشير النصر تلوح في الأفق، رغم اسوداد سطح المشهد.

( 3 )

— فشل سيناريو فرض البديل الثالث حتى الآن، والذي يهدف إلى قفز شخصيات مدنية لبرالية على السطح، المعلوم ولاؤها للغرب، لإجهاض استكمال المسار الثوري، متجاوزة أهداف ومكتسبات الثورة، ويسوق لها البعض على أنها البديل الذي يمكن قبوله، وخدعة الجماهير به مرة أخرى، وهو البديل الذي يستمد الراعي الغربي للانقلاب وأعوانه الإقليميون من أجل فرضه وتبنيه على أرض الواقع، كبديل تحسيني لشكل الانقلاب الدموي الخشن، مما يمكن أن نطلق عليه أنه انقلاب ناعم.

ولكون هذه الشخصيات ليس لها من أمرها شيء، فضلاً عن أن تملك من أمر الشارع الثوري شيئاً، فلا تجد أي بالونات اختبار -أو تحركات جس النبض- من هذا القبيل قبولاً لدى الجماهير الثانية، وتجاهه هذه الأطروحات بالرفض القاطع، مما لا تملك معه قيادة الحراك الثوري أي خيار آخر، وكذلك لأن الشارع الثوري له قياداته التي تحركه؛ فلا أحد يملك إيقافه أو شق صفة.

( 4 )

— ما أقرؤه في مسيرة الثورة المصرية، أن استراتيجية الثوار في مصر اعتمدت كسب المعركة مع العسكر بالنقاط، وحتى الآن كسبت كثيراً من النقاط بفضل الله، حتى إذا أجهد الخصم، وضعف أدواته فيبقاء عليه مصلوب الطول، مرفوع القامة، كان الإجهاز عليه أمراً يسيراً بعد توفيق الله تعالى، "وَتَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا" الإسراء 51.

( 5 )

— المشهد المصري الحالي يؤكد أن الانقلاب بالفعل في أضعف حالاته وأنه يعيش أزمة كبيرة تزداد يوماً بعد يوم، وقد برزت معالمها في الانفلات الأمني الغير مسبوق في طول البلاد وعرضها، مما لا تخطئه عين، حتى جاء في بعض التحليلات أن سيناء تعد خارج السيطرة، وأن البدو هناك مثلوا حاضنة لداعش بعد الجرائم التي ارتكبها العسكر في حق أهالي سيناء.

وكذلك تأكل مكونات الانقلاب التي دعمته في نكبة 30 يونيو، وظهور الصراع المكتوم بين هذه المكونات على السطح الفضائي عبر الأذرع الإعلامية لكل فصيل، عندما تعارضت المصالح. وتأتي المشكلة الاقتصادية باعتبارها العامل الأكبر، والعلامة الأبرز على فشل الانقلاب، حتى إنه لم يستطع أن يحافظ على الحالة الاقتصادية للبلاد على ما كانت عليه قبل شؤم الانقلاب، بل ارداد الوضع سوءاً، وعم الغلاء، وأغلق أكثر من ألفي مصنع، وتعاظمت البطالة، وتدورت قيمة الجنيه المصري، وحذر الاقتصاديون من ثورة جياع قادمة، ولم يتم إنحصار أي مشروع اقتصادي، في الوقت الذي يجمع فيه المحللون على أن بضاعة الانقلاب التي يحسنها هي تسويق الوهم، ولم يجد الذين أيدوا الانقلاب المن والسلوى اللذين وعد بهما مسيلمة الكذاب، حتى استيفطوا على الكارثة.

( 6 )

— هذه المفردات في مجملها ترقى بشري القرآن الكريم "سِيَخْعُلُ اللَّهُ بَعْدَ غُشِّرِ يُشَرِّا" الطلاق 7، "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ شُهَدَاءُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" آل عمران 140، "سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَيَّامِ خَلَوَهَا مِنْ قَبْلٍ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَدِيلًا" الأحزاب 62.

وهذه المفردات نقرأ فيها أيضاً ما يقرره الفقهاء: "أن الأمر إذا صاغ اتسع، وإذا اتسع ضاق"، وقد صاق الأمر بالثوار المكلومين الصامدين، وهو في طريقه إلى الاتساع بإذن الله تعالى، وقد اتسع على الانقلابيين وهو في طريقه إلى التضييق، وأن المشقة تجلب التيسير، وإن مع العُسُرِ يُشَرِّا" الشرح 5.